زيارة الأربعين: دراسة تاريخية لتطور الطقوس والشعائر الدينية

م.م .علي حميد جفات
الجامعة المستنصرية _ مكتب رئيس الجامعة
alihameed@uomustansiriyah.edu.iq

مستخلص البحث:

إنّ الشعائر الحسينيّة تمثل أحد أبرز الرموز الثقافيّة، والدينيّة التي تجسد الارتباط العميق بالمبادئ، والقيم الإنسانية السامية التي ضحّى من أجلها الإمام الحسين (عليه السلام). وقد امتزجت هذه الشعائر بتاريخ الأمة الإسلامية وشكلت جزءًا أصيلًا من هويتها، حيث تحمل في طياتها رسالة العدل والحرية والتضحية في سبيل القيم النبيلة. يهدف هذا البحث إلى استعراض مفهوم الشعائر الحسينية وأبعادها اللغويّة والاصطلاحيّة، والتطرق إلى جذورها التاريخية وأثرها الممتد عبر العصور في تعزيز الهوية الثقافية والدينية للمجتمعات الإسلامية. ويأتي هذا العمل كمساهمة علمية تسلط الضوء على أهمية هذه الشعائر في حياة الأفراد والجماعات.كما تناول البحث في بعض المواضع القضايا التي تتعلق بالإضافات والبدع التي طرأت على ممارسة الشعائر الحسينية على مر العصور. وتم التركيز على كيفية انحراف بعض الممارسات عن مسارها الأساسي الذي يهدف إلى التعبير عن الولاء لقيم الإمام الحسين (عليه السلام) ونشر رسالته الإصلاحية.

المقـــدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، لاسيما سبط النبي الشهيد، الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام)، الذي أضاء بدمائه الطاهرة درب الكرامة والحرية ، وأرسى بموقفه البطولي كل معالم الإصلاح في الأمة الإسلامية. تعدّ زيارة الأربعين إحدى أهم الشعائر الدينية البارزة التي تمثل امتدادًا لثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، وتجسد استمرارية نهجه الإصلاحي في ضمير الأمة، شكلت زيارة الأربعين مظهرًا من مظاهر الولاء لقضية الإمام الحسين (عليه السلام) ورسالته الاصلاحية، اذ كانت على مر العصور تمثل تعبيرًا عن التمسك بمبادئ العدل والإصلاح والتضحية التي رفع رايتها يوم عاشوراء، ورغم ذلك فإن هذه الشعيرة لم تكن بمعزل عن التأثيرات التاريخية والسياسية، إذ تعرضت في فترات متعددة للمنع والملاحقة من قبل السلطات الحاكمة التي خشيت من دلالاتها الثورية ، الا انها بقيت صامدة وتوسعت عبر الزمن، حتى أصبحت من أكبر التجمعات الدينية في العالم الإسلامي اليوم. يهدف هذا البحث إلى دراسة التطور التاريخي لزيارة الأربعين، من حيث أصولها الدينية التي وردت في النصوص الإسلامية والروايات ، اضافة الى التغيرات التي طرأت عليها عبر العصور، وأثرها في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية، كما يسعى البحث إلى ذكر العوامل التي ساهمت في انتشار هذه الزيارة وترسيخها كممارسة دينية شعائرية ثابتة، إضافة إلى دراسة الممارسات المستحدثة التي أضيفت إليها ومدى انسجامها مع البعد الديني والتاريخي لهذه الظاهرة. يعتمد البحث على منهجية تاريخية تستند إلى الروايات التي وردت في المصادر الموثوقة والمقارنة النقدية بين الفترات المختلفة، بهدف تقديم رؤية متكاملة حول هذه الشعيرة ودورها التي قامت به في حفظ الذاكرة التاريخية لثورة الإمام الحسين (عليه السلام) وتأثيرها في الوجدان الإسلامي.

المطلب الأول – مفهوم الشعائر لُغة واصطلاحاً:-

لُغةً:- ذكر علماء اللغة ان جمعا هو شعيرة، وتعني العلامة، مستدلين بذلك على شعائر الله في مناسك الحج اي علاماته[1] وذكر اخرون انها من الشعار اي العلامة في الحروب وغيرها،اذ ان العسكر لهم علامة ينصبونها في الحروب وتكون دلالة يعرف بها الرجل رفقته.[2]

اما في الأصطلاحً: فهي كُل ما جُعل علماً لطاعة الله عزوجل ومنها أعمال الحج [3] وشعائر الله هي كل تكاليفه الغير مخصوصة بشيء معين، وشعائر الله في الدين هي المراد منها شيء خاص من التكاليف[4] وذكر عطاء بن ابي رباح ان شعائر الله هي جميع ما أمر به عزوجل او نهى عنه [5] كما عرفت بأنها كل ما ندب الشرع اليه وأمر بالقيام بها[6]

المطلب الثاني:- الجذور التاريخية لنشأة الشعائر الحسينية وتطورها

يقول أحد المفكرين : أن اصل اقامة عزاء الامام الحسين(عليه السلام) كان سنة معمول بها بين الأوساط الشيعية و على وجه التحديد منذ زمن الإمام الصادق (عليه السلام) وكانت بمثابة ممارسة ثورية خاصة في زمن القمع والكبت والأجواء المريبة التي كرسها جهاز الخلافة لغرض عداءً لأهل البيت(عليهم السلام)، وهذا الأمر كان له اثاره الواضحة في تنمية ايمان الفرد الشيعي وتهذيبهمن الناحية الأخلاقياً والروحية والعاطفيةً، فضلاً عن ذلك كان لهذه الطقوس اثراً كبيراً في احباط كل مساعي الحكومات الجائرة التي سعت لطمس حقيقة النهضة الحسينية وتشويه صورتها في الأذهان عن طريق المتاجرين بالدين من المرتزقة ووعاظ السلاطين، فأدت هذه الطقوس دور مهم في التصدي لهذه المحاولات في المجالات المختلفة فكرية كانت او اجتماعية وحتى السياسية كما احبطت مساع الحكومات التي هدفت من خلالها تحريف التاريخ وشطب كل حدث غير طبيعي والتوضيح للأجيال القادمة بأن التاريخ مر على افضل ما يرام وكأن شيئاً لم يحدث فيه ابداً [7]

تنقسم الشعائر الحسينية إلى: الشعر والخطابة حول واقعة الطف والعزاء بمختلف أقسامه من المأتم الذي يتضمن الرثاء واللطم والبكاء ، وتضمنت الشعائر لاحقاً التطبير والضرب بالسلاسل الا ان هاتين الشعيرتين عندما بحثنا في المصادر لم نجد لهما جذور تاريخية .

---

(1) الفراهيدي، الخليل بن احمد(ت175هـ) العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية(بيروت، د.ت)ج1 ص 251.

(2) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت: 711هـ)لسان العرب، دار صادر، (بيروت، 1414هـ) ج4، ص413.

(3) الجوهري، ابو نصر اسماعيل بن حماد (ت 393هـ) الصحاح تاج اللغة وتاج العربية، تح: احمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، (بيروت، 1987م) ج2، 698.

(4) الرازي، ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (ت606هـ)، التفسير الكبير، دار احياء التراث العربي،(بيروت، 1420هـ)،ج11، ص 280.

(5) ابن عطية الأندلسي، ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ت 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1993م)، ج2، ص 170.

(6) فتح الله، احمد، معجم الفاظ الفقه الجعفري، مطابع المدوخل، (الدمام، 1995م)، ص 244.

(7) شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص 218-219.

احد المفكرين المحدثين يرجع اصول إقامة العزاء على الامام الحسين(عليه السلام) إلى زمن الأئمة وبالخصوص زمن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) [1] الا اننا بالرجوع الى المصادر التاريخية وجدنا نصوص تشير الى ان اصل إقامة عزاء الإمام الحسين (عليه السلام) يعود إلى عهود تاريخية اسبق من عهود الأئمة (عليهم السلام) وبما أننا اشرنا الى ان البكاء هو احد اقسام الشعائر الحسينية بل يمكن ان يُعتبر عمدة الشعائر فأن اول من بكى على الإمام الحسين (عليه السلام) هو النبي آدم ومن جاء بعده من الانبياء. وجده رسول الله (صلى الله عليه واله) عندما ولد الإمام الحسين وضعه النبي محمد(صلى الله عليه واله) في حجره وبكى، فسألته أسماءقائلة : فداك أبي وأمي ممّا بكاؤك يا رسول الله؟ اجابها (صلى الله عليه واله): على أبني هذا، فأجابته قائلة: أنه ولد الساعة، فقاللها: يا اسماء ابني هذا تقتله الفئة الباغية لا أنالهم الله شفاعتي، ثم طلب منها ان لا تخبر السيدة فاطمة بما رأت خشية عليها لآنها قريبة عهد بولادته[2]

فكان النبي محمد (صلى الله عليه واله) هو اول من اقام عليه مأتماً وبلغ عدد المآتم التي اقامها النبي محمد(صلى الله عليه واله) على الإمام الحسين (عليه السلام) عشرين مأتماً و كل مأتم وثق بأسانيد عديدة في كتب الاحاديث والصحاح لأهل السنة ومنها ستة مآتم في دار أم سلمة وثلاثة منها في دار عائشة ومأتم واحد في دار زينب بنت جحش ومأتم في دار الامام علي(عليه السلام) ومأتمين في جمعاً من الصحابة ومأتم في دار النبي محمد (صلى الله عليه واله)[3] نذكر منها المآتم الذي اقيم في بيت زوجة النبي محمد ام سلمه وورد ذلك عن لسانها اذ تذكر الرواية ان الامامان الحسن والحسين (عليهما السلام) كانا يلعبان بين يدي النبي في بيتها ونزل جبرئيل (عليه السلام) اخبر النبي ان الامام الحسين يُقتل من بعده من قبل امته مومئاً بيده الى الامام الحسين فبكى النبي محمد (صلى الله عليه واله) وضمه إلى صدره، ثم قال لأم سلمة هذه التربة وديعة عندك فشمها (صلى الله عليه واله) وقال: ريح كرب وبلاء، واخبرها النبي محمد (صلى الله عليه واله) اذا تحولت هذه التربة الى دماً فالتعلم أن الامام الحسين(عليه السلام) قد قُتل، فحفظتها في قارورة وجعلت تنظر اليها كل يوم وهي تقول: ان يوم تحولين الى دماً ليوم عظيم[4]

ومأتم ام الفضل بنت الحارث ورد عنها انه رأيت حلماً فدخلت على النبي محمد(صلى الله عليه واله) واخبرته فسألها عنه فأجابته بأنها رأت كأن قطعة من جسده قطعت ووضعت في حجرها فقالها لها(صلى الله عليه واله) رأيتِ خيراً أن شاء الله تلد فاطمة غلام ويكون في حجرك وتكمل ام الفضل قولها ولدت السيدة فاطمة(عليها السلام) الامام الحسين فكان في حجري ودخلت يوماً على رسول الله فوضعته في حجره ثم التفت عليه فرأيت عينا رسول الله تهريقان بالدموع فقلت له يا رسول الله بأبي وأمي أنت مالك؟ قال لها(صلى الله عليه واله) اتاني جبرئيل واخبرني أن امتي ستقتل ابني هذا واتاني برتبة حمراء من تربته[5] الرضوعة ام الفضل: عن ام الفضل بنت الحارث دخلت على رسول

---

(1) شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص 219-220.

(2) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ص 29؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعضين، ص154؛ الطبرسي، أعلام الورى، ج1، ص 427؛ الطبري، ذخائر العقبى، ص119.

(3) الأميني، عبد الحسين، سيرتنا وسنتنا سيرة نبينا وسنته، بلا مطبعة (سوريا، د0ت)، ص 125.

(4) الطبراني، المعجم الكبير، ج3، ص 108؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج14، ص 193؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج9، ص 189؛ المقريزي، أمتاع الأسماع، ج12، ص 238.

(5) الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج3، ص ص176 -177؛ المفيد، الإرشاد، ج2، ص 129؛ البيهقي، دلائل النبوة، النبوة، ج6، ص ص469؛ الاربلي، كشف الغمة، ج2، ص217.

الله (صلى الله عليه واله) وقالت له: يا رسول الله اني رأيت حلماً منكراً الليلة، قال: وما هو ؟ قال: أنه شديد، قال (صلى الله عليه واله): وما هو: ؟ قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري ! فقال (صلى الله عليه واله) رأيت خيراً، تلد فاطمة أن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك فولدت السيدة فاطمة (عليها السلام) الإمام الحسين فكان في حجري، فدخلت يوماً إلى رسول الله (صلى الله عليه واله) فوضعته في حجره، ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله (صلى الله عليه واله) تهريقان من الدموع ! قالت: فقُلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي مالك؟ قال: أتاني جبرئيل (عليه السلام) فأخبرني أن أمتي ستقتل أبني هذا فقُلت: هذا ؟، فقال (صلى الله عليه واله): نعم واتاني بتربة من تربته حمراء وروايات اخرى ترجع نشأة الشعائر الحسينية إلى الساعات الأوّلى بعد استشهاد الامام الحسين وأهل بيته وأصحابه(عليهم السلام) وأشارت كتب التواريخ والمقاتل الى ان نساء الامام الحسين إقمن النوائح بعد استشهاده في ساحة المعركة وفي مدينة الكوفة والشام والمدينة، خلال خوضنا للبحث في المراحل التاريخيّة لتحديد النشأة الفعليّة للشعائر الحسينية والانطلاقة الأوّلى لها نجد أنّ الأمر يدور ما بين حالة عفويّة واخرى منظّمة مقصودة تختلف باختلاف مَن عمل عليها وباختلاف موقعها التاريخيّ.

نقصد بالحالة العفويّة هي المواقف التي ظهرت فيها حالة الحزن من خلال إقامة العزاء والمآتم والندب والحداد دون قصد ودون تخطيط مسبق وتنظيم معيّن، والتاريخ سجّل لنا عددًا منها، البعض منها كان فرديًّا والأخر كان جماعياً، وكذلك سجل لنا التاريخ حالات اخرى للعزاء والحزن وهي حالات عامة أُطلق عليها اسم المآتم العفوية وهي التي رافقت الأحداث بعد مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وسنذكر منها شيء بإيجاز.

أم سلمة (رضي الله عنها) ذُكر انها لما بلغها قتل الإمام الحسين (عليه السلام) قالت: او قد فعلوها؟ ملأ الله قبورهم ناراً ثم بكت حتى غُشي عليها[1] ووردت رواية تذكر أنها اعلنت الحداد ولبست السواد علناً في الملأ من الناس في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلما بلغها مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ضربت قبة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جلست فيها ولبست سواداً [2] منها بكاء الذين حضروا وداع السيدة زينب لجسد أخيها الامام الحسين (عليهما السلام) يوم الحادي عشر من شهر محرم، حينما أخذت السبايا إلى مدينة الكوفة وهو الموقف الذي ابكت فيه كل عدوً وصديق لما مررن النسوة بالأمام حسين وولده واهله ولطمن وجوههن وصحن ، فأعترضتهن السيدة زينب قائله "يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء، هذا حسين بالعراء مقطع الاعضاء مرمل بالدماء.. يا محمداه وبناتك سبايا وذريتك مقتله تسفي عليها الصبا [3]

والموقف الأخر المتمثل في بكاء أهل الكوفة عند وصول السبايا اليها فضجت بأهلها عند دخول الركب وينقل لنا خدام الأسدي انه عندما دخل الكوفة سنة (61هـ) سنة استشهاد الامام الحسين (عليه السلام) رأى نساء أهل الكوفة يومئذ يضربن وجوههن مهتكات الجيوب ورأى الامام السجاد علي أبن الحسين (عليه السلام) وهو يقول بصوت

(1) ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص584 ؛ القندوري، ينابيع المودة، ج3، ص 48.
(2) القاضي النعمان، شرح الاخبار، ج3، ص 171.
(3) البلاذري، انساب الأشراف، ج3، ص 206؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج2، ص 45؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص ص348 -349؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص 81.

نحل من المرض: يا أهل الكوفة تبكون علينا فمن الذي قتلنا غيركم[1] وعلت أصوات الكوفيين بالبكاء[2] وتذكر الرواية انه لما حمل رأس الإمام الحسين (عليه السلام) لأبن زياد وضعه في طست واخذ يضرب ثنايا الامام بقضيب ويقول: ما رأيت مثل هذا حسناً، فبكى انس بن مالك قائلاً: كان أشبههم برسول الله (صلى الله عليه واله)[3] وكذلك ما وردعن زيد بن أرقم بكاؤه عندما كان بمجلس أبن زياد ودخلوا عليه برأس الإمام الحسين (عليه السلام) واخذ ابن زياد ينكت ثنايا الإمام الحسين بالخيزرانة فقال له زيد : مه ارفع قضيبك عن هذه الثنايا اني رأيت رسول الله (صلى الله عليه واله) يقبلها، ثم خنقته العبرة وبكى، فقال له ابن زياد: "مما بكاؤك؟ ابكى الله عينيك والله لولا انك شيخ خرفت لضربت عنقك[4] وبكاء الحسن البصري حتى اختلج صدغاه[5] عندما بلغه مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) ثم قال: "اذل الله أمة قتلت أبن بنت نبيها والله ليردن رأس الحسين إلى جسده ثم ينتقم له جده وابوه من ابن مرجانة"[6] وذكرت المصادر ايضاً حالة بعض نساء بني أمية في الشام، وهن يبكين الإمام الحسين (عليه السلام) عندما أدخلن نساء الامام الحسين على يزيد صحن وولولن[7] وأقمن المأتم[8] ويذكر اخرون انهنّ اقمنّ عليه المناحة ثلاثة ايام[9] ايام[9] وبكاء أهل الشام في الجامع الأموي في مدينة دمشق اذ اقيمت الصلاة عندما وصل رأس الإمام الحسين (عليه السلام) وطلب الإمام زين العابدين علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) من يزيد ان يسمح له في أن يكلم الناس فرفض الا انه وافق فيما بعد، بعد إلحاح الحاضرين، فأذن للإمام السجاد أن يخطب، فصعد المنبر وحمد الله واثنى عليه وقال "ايها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني انبأته نسبي وحسبي... ايها الناس انا ابن مكة ومنى وزمزم والصفا انا ابن الحسين قتيل كربلاء انا ابن المرمل بالدماء، انا ابن من بكى عليه الجن في الظلماء.. انا ابن من ناحت عليه الطيور في الهواء... ولم يزل يقول: اناو أنا حتى ضج جميع الناس بالبكاء والنحيب وخاف يزيد أن تكون فتنة فأمر المؤذن بالأذان فقطع عليه الكلام وسكت[10] عمد عبيد الله ابن زياد بأرسال رسول الى

---

(1) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص23؛ البراقي، حسين بن احمد (ت 1332ه)، تاريخ الكوفة، تح : ماجد احمد العطية، المكتبة الحيدرية، (بلا مكان، 1424ه) ص 294

(2) الكاظمي، المنبر الحسيني، ص44

(3) الترمذي، سنن الترمذي، ج5، ص 325؛ ابن حبان، صحيح أبن حبان، ج15، ص 429؛ ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص198؛ الطبرسي، الأحتجاج، ج2، 34

(4) الديوزري، الأخبار الطوال، ص260؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج3، ص 207 ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ ج3، ص185 ؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج6، ص2630 ؛ الأربلي كشف الغمة، ج2، ص 275 ؛ ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص198.

(5) من الصدغ وهو ما انحدر من الرأس إلى مركب اللحيين وقيل هو ما بين العين والأذن، وقيل الصدغان هو ما بين لحاظي العينين إلى اصل الاذن، ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص 439.

(6) يُنظر : البلاذري، انساب الأشراف، ج3، ص ص 227 -228؛ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج6، ص 266؛ ابن كرامة (ت494هـ)، تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، تح : تحسين آل شبيب، مركز الغدير، (بلا مكان، 2000م)، ص103؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ج1، ص 548

(7) ابو مخنف، مقتل الحسين (عليه السلام)، ص 217؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص 355؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعضين، ص191.

(8) الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج4، ص 355؛ الصدوق، الأمالي، ص230؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعضين، ص 191؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص 86.

(9) ابومخنف، مقتل الحسين، ص 215؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص 353؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج69، ص 177.

(10) ابن اعثم، الفتوح، ج5، ص 133 ؛ المرعشي، شرح احقاق الحق، ج12، 127ص ص – 128 ؛ الحائري، جعفر عباس، بلاغة الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، دار الحديث، (قم، 1425هـ)، ص 103.

عامله بالمدينة عمرو ابن العاص ليخبره بمقتل الامام الحسين(عليه السلام) قبل عودة اهل البيت اليها فأخبره قائلاً جئت بما يسر الامير لقد قتل الحسين بن علي فأمر عمر الرسول بأن يخرج وينادي بمقتل الامام الحسين(عليه السلام) فكان لهذا الخبر وقع كبير على المدينة اذ يذكر الرسول انه عندما نادى بمقتل الامام سمع واعية في بيوت بني هاشم لم يسمع مثلها واعية قط [1] وعند عودة نساء الامام الحسين (عليه السلام) وعياله من الشام الى العراق عند وصولهم طلبوا من الدليل ان يمر بهم على طريق كربلاء وعندما وصلوا لموضع المقتل وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري ورجالاً من آل رسول الله (صلى الله عليه واله) وجماعة من بني هاشم قد جاءوا لزيارة قبر الامام الحسين (عليه السلام) فكان وصلوهم في وقت واحد وتلاقوا بالبكاء واللطم والحزن واجتمع اليهم نساء واقاموا على ذلك اياماً [2] وذكر انهم اقاموا المأتم ثلاثة أيام[3] وبعد ان بعثوا بركب أهل البيت من العراق الى المدينة عند وصولهم اليها طلب الإمام السجاد (عليه السلام) من الشاعر بشر بن حذلم ان يسبقهم بالدخول الى المدينة وينعي الامام الحسين ويخبر اهلها عن وصول أهل البيت(عليهم السلام)، قال بشر ركبت فرسي واسرعت الى ان دخلت المدينة وعند وصولي مسجد النبي محمد رفعت صوتي منشداً:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قَتل الحُسين فأدمعي مدرارا
الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منه على القنا يدارا

هذا الحسين بن علي مع اخواته وعماته قد نزلوا بساحتكم وحلوا بفنائكم وانا رسولهم اليكم أعرفكم مكانهم قال بشر: لم تبقى في المدينة محجبة ولا مخدرة الا خرجن وهن يدعين بالويل والثبور ولم يبقى بالمدينة أحداً الا وخرج وهم يضجون بالبكاء والعويل [4] وعندما صاحت ام سلمة وابن رسول الله واحسيناه تصارخت النساء حتى ارتفعت المدينة بالرجة التي لم يسمع مثلها قط[5]. وأقيمت مآتم للرجال وللنساء ومنها المأتم الذي اقامه عبد الله بن جعفربن عبد المطلب عندما علم مقتل ولديه مع الإمام الحسين (عليه السلام) ودخل عليه الناس وبعض مواليه يعزونه أقبل عليهم قائلاً: الحمد الله على مصرع الحسين إن لم تكن يدي آستْ الحسين فقد آساه ولدي[6]

اما مآتم النساء: فكانت أم البنين (عليها السلام) تخرج كل يوم وتذهب إلى البقيع وتحمل معها عبيد الله بن العباس وتندب أوّلاًدها اشجى واحرق ندبة فيجتمع الناس حولها يستمعون ندبتها وبكاؤها وقيل ان مروان بن الحكم كان من ضمن الذين يحضرون ويسمعون ندبتها ويبكي[7]

---

(1) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص ص222- 224؛ الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج4، ص ص 356 -357 ؛الارشاد،ج2، ص123؛ الأربلي، كشف الغمة، ج2، ص 280.

(2) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص114؛ المجلسي، بحار الانوار، ج45، ص 146؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج4، ص 47.

(3) القندوري ،ينابيع المودة لذي القربى، ج3، ص 92.

(4) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف،، ص115؛ محسن الأمين، لواعج الأشجان، مطبعة العرفان،(قم، 1331)، ص242؛ اعيان الشيعة،ج1،ص617.

(5) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 246.

(6) ابو مخنف، مقتل الحسين،ص227؛ الثقفي الكوفي، الغارات، 2، ص 695؛ الطبري، تاريخ الرسل و الملوك ج4ص357 ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج3ص192.

(7) الاصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص90.

ومآتم زوجة الامام الحسين السيدة رباب الا ان أعظم المآتم النسوية هو المأتم الذي أقامته السيدة زينب الحوراء (عليها السلام)، وكان مأتماً حافلاً قادته السيدة زينب (عليها السلام) وكان لهذا المأتم دور مهم لما ولده من ردود افعال ضد بني امية في المدينة الامر الذي دفع عامل المدينة عمرو بن سعيد أن يكتب إلى يزيد يخبره أن وجود السيدة زينب في المدينة مهيج للخواطر وانها لبيبة فصيحة عاقلة وقد عزمت هي ومن معها على الأخذ بثأر الحسين، الامر الذي أدى إلى اخراجها من المدينة إلى مصر، فوصلت(عليها السلام) لأيام بقين من رجب وقام باستقبالها والي مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري وقدم اليها التعزية وجاء اليها الناس لاستقبالها فلما اطلت عليهم اجهشوا بالبكاء فبكت وبكى الحاضرون وحاطبتهم قائلة[1]هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون [2] وكان التوابين ممن أقاموا المآتم على الإمام الحسين (عليه السلام) عندما غادروا الكوفة ووصلوا الى موضع قبور الشهداء وأقاموا المآتم ثلاثاً وعلت أصواتهم بالنحيب والبكاء عند قبر الإمام الحسين (عليه السلام) وقاموا بالثورة سنة 65هـ واخذوا أسلحتهم إلى هُناك ورفعوا عقائرهم في نحيب عالي وابتهلوا إلى الله عزوجل أن يغفر لهم تخليهم عن الامام الحسين (عليه السلام) وصاح زعيمهم اللهم ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد الصديق ابن الصديق، المهدي بن المهدي اللهم أشهد أننا على دينهم وطريقهم وانا أعداء قاتليهم واولياء محبيهم[3] ورفع المختار بن ابي عبيد الثقفي شعار طلب ثأر الإمام الحسين لما اخبروه بعدم رضا محمد بن الحنفية عنه لأنه يجلس عمر بن سعد على وسائده، وطلب المختار من صاحب حرسه ان يستأجر له نوائح يبكين الامام الحسين(عليه السلام) فطلب عمر من ابنه حفص ان يذهب للأمير ويقول له: ما شأن النوائح يبكين الحسين على بابي؟[4]

يذكر احد الباحثين ان المختار الثقفي كان متقصداً لاستئجار نساء ينُحْ على الإمام الحسين أي انه أمر بإقامة المأتم ليندب فيه الإمام الحسين(عليه السلام) ، الامر الذي يمكننا ان نقول ان هذا المأتم من اوائل المآتم التي أُقيمت بعد واقعة كربلاء بقصد الا اننا لم نجد من يؤيد هذا الرأي بان المختار هو أول من اسس ودعا إلى إقامة المآتم على الإمام الحسين (عليه السلام) ربما لأن التوابين سبقوه بذلك عندما اقاموا نياحة الكبرى عند قبر الإمام الحسين (عليه السلام) فهم بذلك هم المؤسسون للمآتم الحسينية وللعزاء وإنهم وضعوا نواة ذلك[5] ان هذه المآتم لم تكُن ذات شعائر وطقوس دينية ثابته ولم تكن عادات راسخة وإنما كانت مجرد تجمع عدد من اتقياء الشيعة الأوائل حول قبر الإمام الحسين (عليه السلام) لقراءة سورة الفاتحة وتقديم العزاء لأهل البيت (عليهم السلام)[6] يمكن ان تُعتبر هذه التجمعات البواكير الأوّلى للشعائر الحسينية .

---

(1) العبيدلي، يحيى بن الحسن (ت277هـ)، أخبار الزينبيات، (مصر، 1934م)، ص ص57-58، التستري، قاموس الرجال، ج11، ص 42 ؛ المدرسي، محمد تقي، الصديقة زينب (عليها السلام) شقيقة الحسين(عليه السلام)،منشورات البقيع،(بلا مكان، 1416هـ)،ص ص88-89.

(2) سورة يس، الآية : 52.

(3) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص290 ؛ الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ج4، ص 456 ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص 178.

(4) الدينوري، الإمامة والسياسة، ج2، ص19 ؛ المرعشي، شرح احقاق الحق، ج33، ص 647.

(5) الكاظمي، فيصل، المنبر الحسيني نشوؤه وحاضره وآفاق المستقبل، دار ومكتبة هلال، (بيروت، 2004م)، ص ص51 – 52.

(6) الحيدري، ابراهيم، تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، دار الساقي، (بيروت، ص 1999م)، ص52.

حالة البكاء والحزن التي رافقت مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) تُعتبر حالة عفوية او يمكن ان نطلق عليها اسم(المآتم العفوية) وهذه الحالة هي التي هيأت الجو لإقامة المآتم الهادفة التي تقام على الإمام الحسين (عليه السلام) بأعداد وقصد مسبقين [1] لذلك تعتبر المآتم العفوية هي التي أسست الأرضية لبروز المآتم الهادفة، أي أن المآتم الهادفة لم تنطلق من فراغ بل كان لها جذور وسبقتها مآتم أخرى كانت قد برزت تعاطفاً مع أحداث واقعة كربلاء[2]

المطلب الثالث:- مجالس العزاء في عصر الأئمة (عليهم السلام) النشأة والدلالات:

ائمة اهل البيت(عليهم السلام) اسسوا لتجذير الشعائر الحسينية ومرحلة التجذير هذه تعتبر استمراراً لمرحلة التأسيس والتنصيص الذي صدر عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) والأئمة في المرحلة الأوّلى [3]

ووردت العديد من الروايات عن ائمة اهل البيت يدعون فيها الشيعة إلى إقامة مجالس العزاء على الإمام الحسين (عليه السلام) موضحين لهم ثواب البكاء كما وردت الروايات التي اشارت الى اقامة هذه المجالس من قبل الأئمة انفسهم قاموا بالبكاء على الإمام الحسين(عليه السلام) وعدوا مصيبته من أعظم المصائب وأمروا الشيعة ومواليهم بذلك، فأنشد الشعر في رثائه(عليه السلام) وبكوا عند سماعه وجعلوا يوم مقتله يوم بكاء وحزن وذموا الذين اتخذوه عيداً، كما امروا بترك السعي فيه بطلب الحوائج وعدم ادخار اي شيء فيه، والأخبار بهذا الشأن كثيرة عنهم، رواها عنهم ثقات شيعتهم بأسانيد متصلة إليهم[4] واوضح الامام الباقر(عليه السلام) طريقة احياء ذكرى استشهاد الامام الحسين(عليه السلام) بممارستين الاولى هي زيارة قبر الامام الحسين لمن كان بيته قريباً من القبر والممارسة الاخرى تخص من كان بيته بعيد عن القبر ولم يستطع زيارته فوجههم ان يندبوا الامام الحسين ويبكوه ويأمروا من في دارهم بالبكاء عليه وذلك بأن يقيم الموالين في دورهم مأتماً ويبكون ويعزون بعضهم بعضاً وورد في الروايات بأن مالك الجهني استفسر عن كيفية التعزية قائلاً: كيف يعزي بعضهم بعضاً ؟ قال (عليه السلام) يقولون: عظم الله اجورنا بمصابنا بالحسين وجعلنا واياكم من الطالبين بثأره ومع وليه الإمام المهدي من آل محمد[5] كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) عدداً من الاحاديث التي تحث على البكاء على الإمام الحسين منها: كل جزعاً وبكاءً مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين[6] وقوله(عليه السلام) البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ماجزع الا البكاء والجزع على الحسين بن علي (عليهما السلام) فأنه العبد فيه مأجور[7]

(1) الكاظمي، المنبر الحسيني ص48

(2) الكاظمي، المنبر الحسيني، ص 40.

(3) جعفر، محمد باقر موسى، الشعائر الحسينية في العصرين الأموي والعباسي، نشر قسم الشؤون الفكرية بالعتبة الحسينية، (كربلاء، 2015م)، ص 128.

(4) محسن الامين،إقناع اللائم على إقامة المآتم، تح: جواد الصافي، دار الصفوة، (بيروت، 2009م)، ص 174.

(5) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص 326 ؛ الطوسي، مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة، (بيروت، 1991م)، ص772 ؛ المجلسي، بحار الانوار، ج98، ص 290 ؛ النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل، ج10، ص 315؛ البروجردي، جامع احاديث الشيعة، ج12، ص 414 .

(6) الطوسي، الأمالي، ص162؛ المجلسي، بحار الانوار، ج44، ص 280 ؛ البروجردي، جامع احاديث الشيعة،، ج3، ج3، ص 479.

(7) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص 201 ؛ المجلسي، بحار الانوار، ج44، ص 291 ؛ البروجردي، جامع احاديث الشيعة، ج12، ص 557.

وفي عهد الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) كان هناك نوعاً من الحرية في اقامة التجمعات المخصصة لذكر مصيبة الإمام الحسين وأهل البيت (عليهم السلام) فأصبحت امراً مألوفاً لدى اوساط الشيعة ونورد هنا سؤال الامام الصادق (عليه السلام) للمولى الفضيل بن يسارقائلاً : يا فضيل تجلسون وتتحدثون ؟ قال: نعم جعلت فداك فقالله الامام: يا فضيل هذه المجالس احبها أحيوا أمرنا رحم الله من احيى امرنا[1] ودعاءه(عليه السلام) لمن يقوم بتلك الشعائر قائلاً اللهم ارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا[2]

اما في عهد الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) فتورد لنا الروايات انه كان يبدأ حداده وحزنه منذ اليوم الأوّل من شهر محرم ويصف لنا الإمام الرضا حال الامام الكاظم (عليهما السلام)قائلاً: اذا دخل شهر محرم كان ابي لا يرى مبتسماً وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي من الشهر عشرة ايام فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم بكائه ومصيبته وحزنه ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين (عليه السلام)[3]

وورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) عدد من الاحاديث نذكر منها قوله: إن يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل عيوننا وأذل عزيزنا بأرض كربٍ وبلاء واورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، على الحُسين فليبك الباكون فإن البكاء عليه يحط من الذنوب العظام[4] وقوله (عليه السلام) للريان شبيب وهو احد اصحابه: ياريان انت كُنت باكياً لشيء فأبكِ الحسين بن علي فأنه ذبح كما يذبح الكبش وقُتل معه ثمانية عشر رجلاً من أهل بيته ليس لهم على الأرض شبيهون يا أبن شبيب أن يفرحك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي محمد (صلى الله عليه واله) فألعن قتلة الحسين[5] وفي عهده اخذت مجالس العزاء تتطور فظهر فظهر الشعراء الذين احتلوا مكانة بارزة ومهمة بين طبقات الشعراء المختصين بالرثاء الحسيني وحظوا باهتمام وعناية وتكريم الإمام الرضا (عليه السلام) واقاموا المجالس في دار الإمام الرضا بحضور أصحابه واهل بيته، وتورد الروايات صورة المجلس المقام في دار الامام بأن الإمام الرضا(عليه السلام) يقوم بوضع ستراً بينهم وبين حرمه ويجلس اهل بيته وراء الستار ليبكوا على مصاب جدهم الحسين (عليه السلام) وكان من ضمن الحاضرين دعبل التفت اليه الامام وقال له: يا دعبل أرث الحسين فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حياً فلا تقصر عن نصرتنا ما استطعت فأستعبر دعبل وسالت عبرته وانشأ قائلاً:

---

(1) الحميري، عبد الله بن جعفر (ت304هـ)، قرب الاسناد، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، (قم، 1413هـ)، ص 36 ؛ الصدوق، ثواب الاعمال، ص 187؛ ابن ادريس الحلي، محمد بن احمد (ت 598هـ)، مستطرفات السرائر، تح : محمد مهدي، مكتبة الروضة الحيدرية، (النجف، 2008م)، ص 229 .

(2) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص 229 ؛ الكليني، الكافي، ج4، ص 583 ؛ ؛ الصدوق، ثواب الأعمال، تقديم : محمد مهدي، منشورات الشريف الرضي، (قم،1318هـ)، ص95؛ النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل، ج10،ص 231.

(3) الصدوق، الامالي، ص 191 ؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص 169؛ ابن طاووس، اقبال الاعمال، ج3، ج3، ص 28.

(4)الصدوق، الأمالي، ص190، الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص 169 ؛ ابن شهر اشوب، مناقب آل ابي طالب، ج3، 238 ؛ ابن طاووس، أقبال الأعمال، ج3، ص 28؛ الكاظمي، المنبر الحسيني، ص 83.

(5) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج1، ص268؛ الامالي، 192؛ ابن طاووس، اقبال الأعمال، ج3، ص 29.

أفــاطمُ لــو خُلــت الحســينُ مجــدلاً وقــد مــاتَ عطشــاناً بشــطِ فــرات
إذا للطمــتِ الخــدَ فــاطمُ عنــده واجريــتِ دمــعُ العــينِ فــي الوجنــاتِ[1]

إضافة إلى ما ورد في دعاء الندبة قول الحجة عليه السلام: " على الأطائب من أهل بيت محمد وعليك فليبك الباكون واياهم فليندب النادبون...ولمثلهم فلتذرف الدموع ويصرخ الصارخون ويعج العاجون، ويضج الضاجون " [2]

وتطورت الشعائر الحسينية فظهر اشخاص من الرجال والنساء مختصين بالبكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) وكانوا معروفين في بغداد من النساء نذكر: النائحة خلب فهي مُجيدة وحاذقه اذ امر شيخ الحنابلة البربهاري بقتلهاعندما بلغه أن نائحة يُقال لها خلب تنوح على الامام الحسين فأمر بأحضارها وقتلها[3] هذه الرواية توضح ان نساء في بغداد كُن ينُحن على الإمام الحسين (عليه السلام) اما من الرجال فتذكر الرواية رجلاً يدعى ابن اصدق ينوح على الحسين (عليه السلام)[4]

رغم ما مر به الشيعة من مضايقات ومنع لأقامة الشعائر الحسينية الا ان غير ان ميزان القوى تغير لصالحهم في فترة الحكم البويهي. فكان معز الدولة أول من جعل مراسيم عزاء الامام الحسين عادة تتبع سنوياً في بغداد وأمر الناس أن يغلقوا دكاكينهم والأسواق ويتوقفوا عن البيع والشراء ويظهروا النياحة على الامام الحسين ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح والنساء كن يخرج مسودات الوجوه شققن ثيابهن يدرن في البلد بالنوائح ويلطمن على جوههن على الحسين (عليه السلام) ففعل الناس ذلك[5] وقيل: ان هذا أول يوم في بغداد نيح فيه على الإمام الحسين (عليه السلام)[6] من خلال ما ذكره المؤرخون يمكن أن نعتبر فترة الحكم البويهي من أهم الفترات التي كان لها دور في تاريخ نشوء وتطور الشعائر الحسينية، الا ان البعض علماء الشيعة المعاصرون يذكرون: انه قد سجل التاريخ اهتمام معز الدولة البويهي وكل الملوك البويهيين ببغداد عام 352هـ بإقامه مأتم على الإمام الحسين (عليه السلام) واظهارها على هيئة مواكب في خارج البيوت ويعتبر هذا اهتمام وإبراز علني لمظاهر العزاء على شكل مواكب تخرج للشوارع[7] وفي عهد جلال الدولة البويهي كان الشباب الشيعة من سكان الكرخ يجتمعون في مسجد براثا في عاشوراء سنة 423هـ ويرتقي الخطيب المنبر ويبدأ بتوضيح اسباب النهضة الحسينية وسبب قيام الامام الحسين ثورته ضد الاستبداد والظلم والبغي ثم يسرد فاجعة يوم عاشوراء وما جرى على الإمام واهل بيته وأصحابه من قتل وقتك وسبي على يد الجلاوزة من بني امية الامر الذي اثار شعور المسلمين والهب حماسهم وبعد ان ينزل

(1) يُنظر : المجلسي، بحار الانوار، ج45، ص 257 ؛ البحراني، العوالم، ص 545؛ النوري الطبرسي، ج1، ص 386 .
(2) ابن طاووس، إقبال الأعمال، ج1، ص 508.
(3) التنوخي، المحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم داود (ت 384هـ)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، بلا مطبعة، (بلا مكان، 1971م)، ج2، ص233.
(4) التوخي، نشوار المحاضرة، ج2، ص 230 ؛ ابن العديم، ج6، ص 2654 ؛ المرعشي، شرح احقاق الحق، ج27، ص 486.
(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 549 ؛ يُنظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج14، ص 210؛ ابي الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص 104؛ النويري، نهاية الأرب، ج26، 191؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت، 1993م)، ج26، ص 11.
(6) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج26، ص 11؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص288.
(7) الشهرستاني، هبة الدين، نهضة الحسين، مطبعة دا التضامن، (بغداد، 1969م)، ص ص160 -161.

الخطيب من المنبر يجتمع الحاضرين حوله ويلتحق بهم عدد من سكان النواحي ويتوجهوا نحو المشهد الكاظمي لاطمين على صدورهم ورؤوسهم باكين مرددين عبارات الحزن مهرولين حتى ينتهوا إلى المشهد الكاظمي ويقيموا فيه النياحة طوال ذلك اليوم [1]

يتضح مما تقدم ان الشعائر الحسينية كان لها جذوراً تاريخية تعود إلى اقدم العصور الإسلامية ومع مرور الزمن أخذت تتسع وتعم ارجاء البلاد اخذين بنظر الاعتبار المد والجزر الذي يطرأ عليها تبعاً للنظام الحاكم ولاسيما في العراق كونه حاضرة الدولة العربية الإسلامية ويتجلى الأمر في دور الأئمة المعصومين المهم جداً في الحفاظ على ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) من خلال احد اوجهها وهي ادامة الشعائر الحسينية اذ انها كانت بأمر وموافقة وتأييد ائمة اهل البيت (عليهم السلام).

المطلب الرابع:- سياسة الدولة في مواجهة الشعائر الحسينية: محاولات الطمس والتغييب

تُعتبر الشعائر الحسينية ممارسة ثورية في ازمنة القمع والكبت والأجواء الخائفة تلك الاجواء التي كرسها جهاز الخلافة لأجل عداءً أهل البيت(عليهم السلام) وهذا الأمر كان له اثاراً جلية في تنمية ايمان الفرد الشيعي وتهذيبه من الناحية الأخلاقية والروحية والعاطفية[2]

سياسة الحكومات كانت متغيرة حسب ميولها الدينية والسياسية مصالحها الخاصة، وذكرت لنا الروايات الكثير من النصوص التي اشارت إلى تلك الإجراءات التي اتبعتها السلطة الأموية مع زائري الإمام الحسين (عليه السلام) طيلة فترة حكمهم ومن تلك الروايات ما ورد عن زرارة بن اعين قوله: قُلت لأبي جعفر محمد الباقر (عليه السلام): ماذا تقول فيمن زار أباك على خوف اجابه الامام قائلاً يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر وتتلقاه الملائكة بالبشارة قائلين له: لا تحزن ولا تخف هذا يومك الذي فيه فوزك[3]

في عهد الامام الصادق(عليه السلام) كانت مساحة الحرية السياسية والاجتماعية متاحة له (عليه السلام) أكثر من غيره من ائمة آهل البيت (عليهم السلام) كونه عاصر السنوات الأخيرة من ضعف الدولة الأموية والسنوات الأوّلى من عمر الدولة العباسية[4] اذ اذ كان الأمويين منشُغلين بالحروب التي اثارها العباسيين ضدهم والعباسيين كانوا يستولون على السلطة تحت شعار (الرضا من آل محمد)إضافة إلى ذلك كان العباسيين مشغولين عن تتبع نشاط الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) وشيعته بمواجهة الامويين والقضاء عليهم من جهة وبتأسيس دولتهم من جهة أُخرى[5] فكانت اصبحت الفرصة متاحة للأمام لأجل غرس المرتكزات الأساسية لإحياء شعائر النهضة الحسينية وتعميقها في وجدان الأمة من خلال التأكيد على البكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) وحث الآخرين بالبكاء عليه وإقامة مجالس العزاء في اوقات مختلفة كلما سنحت الفرصة لهم ومتى ما كانت الظروف ملائمة [6] الا ان ابو جعفر المنصور قضى على هذا النشاط

---

(1) الشهرستاني، صالح (ت1395هـ)، تاريخ النياحة على الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ، تح : نبيل رضا علوان، (قم، 2003م)، ج1، ص 153.

(2) شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص ص 218-219.

(3) ابن قولويه، كامل الزيارات،ص 242- 243 ؛ المجلسي، بحار الانوار، ج98، ص 10؛ البروجردي، جامع احاديث احاديث الشيعة، ج12، ص434.

(4) جعفر، الشعائر الحسينية، ص207

(5) شمس الدين، محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر (بلا مكان،1960هـ)، ص 240.

(6) جعفر، الشعائر الحسينية، ص ص207 -208.

الامر الذي اضطرهم إلى تضييق نشاطهم والتستر كما اقدم العباسيين على قتل شعراء اهل البيت والتنكيل بهم ولذلك كان الشعر الرثائي يتداول بين اوساط الشيعة بشكل سري وكان الشعراء يتكتمون إمام السلطان ويحرصون على ان لا يعرف بشيء من هذا الشعر لأنهم اذا عرفوا بشيء يتعرضون للتصفية والقتل ونورد ما حدث مع الإمام الصادق (عليه السلام) عندما جاءه رجلاً من اهل المدينة يستطلع عندما سمعوا صوت بكاء فرده الامام بقوله بأن صبياً في المنزل غُشي عليه، وعمل (عليه السلام) بالتقية في احد مجالس العزاء التي اقامها في داره عندما طلب من الشاعر ان ينشده شعراً في الامام الحسين (عليه السلام) فلما انشده بكى وصحن النساء في الدار فقال ابو عبد الله: الباب الباب واجتمع اهل المدينة فأرسل اليهم الامام انه صبي لنا غشي عليه فصحن النساء[1] تصرف الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) جاء من باب حماية الشاعر صاحب القصيدة من تنكيل السلطان وكان الشعراء يقومون برثاء الامام الحسين(عليه السلام) وكان بعضهم لا يقدم على ذلك مخافة وخشية من بني أمية [2] وفي عهد هارون الرشد عندما سمع القصيدة اللامية لهارون النميري في رثاء الحسين ومدح أهل البيت (عليهم السلام) غضب غضباً شديداً وأمر أحد قواده وهو ابا عصمة ان يذهب من إلى الرقة ويقطع لسان هارون النميري ومن ثم يقتله ويبعث برأسه اليه، وعند وصول ابا عصمة إلى باب الرقة رأى جنازة هارون النميري خارجة منه فعاد إلى هارون الرشيد وأخبره بوفاة النميري، فقال له هارون فإلا إذا صادفته ميتاً احرقه بالنار[3] هذه الطقوس والشعائر كان لها اكبر الأثر في احباط مساعي الحكومات الجائرة لطمس حقيقة النهضة الحسينية وتشويه صورتها في اذهان الناس عن طريق وعاظ السلاطين والمرتزقة من المتاجرين بالدين اذ لعبت هذه الطقوس دور مهم في احباط تلك المساعي لتحريف التاريخ والشطب على كل حدث غير طبيعي فيه والإيحاء للأجيال المقبلة بأن التاريخ مر على افضل ما يرام وكأن لم يحدث فيه شيئاً ابداً[4]

حاولت الدولة الأموية طمس معالم الثورة الحسينية وكل ما يتصل بها وبدأوا هذه المحاولة في مدينة الكوفة عندما قام الأمويين بأثارة اشاعة بأن كل من قتل بالطف هو خارجيي على الدولة وورد هذا في الرواية التاريخية عندما ضجت الكوفة عند وصول رأس الامام الحسين(عليه السلام) اليها وكان الجصاص قد سأل عن سبب هذه الضجة قالوا له: جيء برأس خارجي خرج على يزيد فسألهم من هو ؟ قالوا له: انه الحسين بن علي قال الجصاص: لطمت وجهي حتى خشيت على عيني ان تذهب[5]

وعندا سأل اليشكري عبيد الله بن زياد اذ كان نادماً على قتله للإمام الحسين (عليه السلام) فأجابه ابن زياد قائلاً: اما قتلي الحسين بن علي فإنه خرج على إمام وامة مجتمعه[6] كذلك ومن ضمن السياسة التي اتبعتها الدولة الاموية لأجل طمس حقيقة النهضة الحسينية هي قيامهم بوضع اخبار واحاديث كثيرة كاذبة في يوم عاشوراء منها أنه يوم بركة وورد هذا في قول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عندما سأله احد

---

(1) الكليني، الكافي، ج8، ص 216 ؛ الفيض الكاشاني، الوافي، ج26، ص 412 ؛ الاردبلي، جامع الرواة، ج1، ص 368.

(2) ابو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص81 ..

(3) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص 244.

(4) شريعتي، التشيع العلوي والتشيع لصفوي، ص 219.

(5) المجلسي، بحار الانوار، ص ص 45، 114 ؛ البحراني، العوالم، ص 372 ؛ جعفر، الشعائر الحسينية في العصرين الأموي والعباسي، ص341.

(6) الدينوري، الاخبار الطوال، ص284.

الاشخاص عن يوم عاشوراء بقوله: يا ابن رسول الله سمعت العامة يقولوا عن يوم عاشوراء بأنه يوم بركة فبكى الامام الصادق ثم قال: لما قُتل الحسين بن علي (عليه السلام) تقرب الناس في الشام إلى يزيد ووضعوا له الاخبار الكاذبة واخذوا عليها الجوائز من الأموال فكان مما وضعوه له أمر هذا اليوم بأنه يوم بركة ليبتعد الناس فيه من البكاء والحزن على الامام الحسين إلى الفرح والتبرك [1]

واوضح ائمتهم ومنهم ابن تيمية زيف هذه الاحاديث بقوله: ان قوم من المتسننة رووا احاديث موضوعة وجعلوها شعاراً لهم في هذا اليوم يعارضون به شعار الشيعة مثل انه من اغتسل يوم عاشوراء لم يصبه المرض ذلك العام ومن اكتحل لم يرمد ذلك العام وامثال ذلك من الخضاب والمصافحة يوم عاشوراء ونحو ذلك ويكمل قوله بأن هذا الحديث ونحوه هو حديث مختلق كذب باتفاق من يعرف علم الحديث وان كان بعض اهل الحديث قد ذكروه وقالوا انه صحيح واسناده على شرط الصحيح فأن هذا من الغلط الذي لا شك فيه كما هو مبين في غير هذا الموضع[2] وكذلك ما اشار اليه ابن كثير بقيام النواصب من وكان اهل الشام في يوم عاشوراء يقوموا الاغتسال والتطييب ويلبسون افخر ثيابهم ويطبخون ويتخذون ذلك اليوم عيداً لهم يصنعون فيه افخر انواع الاطعمة ويظهرون السرور والفرح معاكسة بالروافض [3] وكشفت السيدة زينب(عليها السلام) حجم الجريمة التي ارتكبها يزيد بحق آل بيت النبي من خلال خطابها الذي القته في مجلسه وكان لخطابها الأثر في نفوس الناس: الحمد الله رب العالمين... وصلى الله على رسول الله واله اجمعين... صدق الله سبحانه كذلك يقول: **(ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون)** [4] اظننت يا يزيد حين أخذت علينا افاق السماء و اقطار اقطار الارض فأصبحنا نساق كما تساق الاسارى، ان بنا هواناً على الله وبك عليه كرامة ان ذلك لعظم خطرك، عنده فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان[5]حين رأيت الدنيا لك مستوثقة والامور... متسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا... فمهلاً مهلاً انسيت قول الله عزوجل **(وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ)** [6] أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك لحرائرك وإمائك وسوقك لبنات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سبايا... هتكت ستورهن وابديت وجوههن... تحدوا بهن الاعداء 000 منحنياً على ثنايا ابن بنت رسول الله ابي عبد الله (عليه السلام) سيد شباب اهل الجنة تنكتها بمخصرتك... وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد(صلى الله عليه واله) ونجوم الأرض من آل عبد المطلب... [7] وكان الإمام محمد الباقر (عليه السلام) خير من وصف حجم معاناة اهل البيت (عليهم (عليهم السلام) وشيعتهم من الجور الأموي عندما قال: ثم لم نزل اهل البيت نستذل ونستضام ونمتهن ونقصى ونحرم ونخاف ونقتل ولا نأمن على دمائنا ودماء اوليائنا...

---

(1) الصدوق، علل الشرائع، ج1، ص 226 ؛ المجلسي، بحار الانوار، ج44، ص 270 ؛ البحراني، العوالم، ص 517.
(2) ابن تيمية، تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت 728هـ)، مجموعة الفتاوى، بلا مطبعة، (بلا مكان، د. ت)، ج4، ص 513.
(3) البداية والنهاية، ج8، ص 202.
(4) سورة الروم: الآية : ١٠
(5) الجذل اي الفرح، الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج4، ص 1654.
(6) سورة آل عمران، الآية : ١٧٨
(7) يُنظر : ابن طيفور، بلاغات النساء، ص 22 ؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ج6، ص 262- 263 ؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص 105 – 107

ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى قضاة السوء واوليائهم وعمال السوء في كل بلدة... فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة والمكذوبة ورووا عنا ما لم نعمل به ليبغضونا إلى الناس وكان اشد ذلك واعظمه في زمن معاوية بعد موت الحسن (عليه السلام) فقتلت شيعتنا بكل بلد وقطعت الايدي والارجل على الظنة وكل من يذكر حبنا والانقطاع الينا يسجن او ينهب ماله او تهدم داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويشتد إلى زمان عبيد الله ابن زياد ثم الحجاج الذي قتلهم اشد قتلة واخذهم بكل تهمة وظنة حتى ان الرجل ليقال له كافر او زنديق لاحب اليه من ان يُقال له شيعة علي[1]

أما مراسيم عاشوراء في الوقت الحاضر على النحو المعروف لنا والممثل برواية سيرة الامام الحسين في محافل شعبية تعود جذوره على الأرجح للقرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي(900هـ - 909هـ) عندما تولى الصفويون الحكم في إيران واتخذوا التشيع عقيدة رسمية لدولتهم، اذ كان لهم دور مهم في انتقال العقيدة الشيعية إلى الهند والأناضول ومدن أذربيجان التركية وبعض مناطق سيبيريا وهذه الشعائر تطورت مع الوقت فكانت رواية سيرة الشهيد ممسرحة في تجمعات، شعبية حافلة تليها المواكب ونتج عن دمج هذين النمطين إبان القرن الثامن عشر في ايران ولادة ما يعرف بمسرح التعزية، على الرغم من انه تم التركيز على الشكل الظاهري لتلك الطقوس في هذه الحقبة فأخذت الصفوية على عاتقها تكريس هذه الطقوس وتوسيعها ومن ثم وظفتها لأهداف سياسية تضليلية تصب في صالح اغراضها الحكومية بعيدة عن التعريف بالإسلام وتربية الاجيال على مفاهيمه السامية، من هنا بدأ الانحراف للمسار الشيعي التشيع الآن يمسك بزمام الأمور بعد ان تحرر وانتصر في المعركة الا انه اتخذ منحى آخر وانسلخ عن المنحى الثوري، الذي كان يعتبر من ابرز معالم هويته[2]

ويورد احد الباحثين رأيه بقوله أن علماء التشيع كانوا على مدى عشرة قرون امناء على لواء النهضة الحسينية وبقوا طوال هذه القرون مقربين للناس متاخمين لحياة المجتمع ويشعرون بآمال الناس يتحسسون آلامهم ولهذا السبب كانوا طوال هذه الفترة يشكلون بؤرة خطر في نظر الحكومات الفاسدة ويشكلون هاجساً يقض مضاجع اولئك الحكام الا ان المعادلة تغيرت عندما اصبح علماء الشيعة قريبين من الحكام حتى زال خطرهم ولم يعودوا يشكلوا مصدر قلق للحكومات! [3]

ظهرت موجة جديدة من المراسيم الطقوس المذهبية لم يعهد لها سابقة في الشعائر الدينية الإسلامية ولا في الفلكلور الشعبي الايراني ومن بين تلك المراسيم والطقوس النعش الرمزي والاقفال والضرب بالزنجيل والتطبير[4]

اما التطبير لم نجد له اي جذر تاريخي الإ ان من المحتمل انهم اعتمدوا على رواية ضعيفة مرسله وبعض الباحثين والمؤرخين لم يأخذوا بها إلا انه من المحتمل جداً أنهم اعتمدوا عليها واتخذوها حجية للتطبير وتتلخص هذه الرواية: عن مسلم الجصاص عندما دعاه ابن زياد لإصلاح دار الامارة في الكوفة فبينما كان يجصص الابواب فاذا بزعقات ارتفعت من جنبات الكوفة فأقبل على خادم كان يعمل معه فسأله لما الكوفة تضج؟ قالله :

(1) يُنظر : ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج11، ص ص 43 – 44 ؛ المجلسي، بحار الانوار، ج44، ص ص 68 – 69 ؛ المرعشي، شرح احقاق الحق، ج28، ص 476.
(2) شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص 219.
(3) شريعتي، التشيع الصفوي والتشيع العلوي، ص 220.
(4) شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص 208.

الساعة اتوا برأس خارجي خرج على يزيد بن معاوية و ارتفعت الضجة وجاءوا بالرؤوس يتقدمها رأس الامام الحسين(عليه السلام) فألتفت السيدة زينب ورأت رأس اخيها فنطحت جبينها بمقدم المحمل حتى رأوا الدم يخرج من وأومأت الى الرأس بحرقة[1] نطح السيدة زينب لرأسها وسيلان الدم الشريف من تحت قناعها هو نتيجة وليس هدف لأن الفاجعة إمامها لا يُمكن تصورها وتحملها وهذه الحادثة لم تتكرر فيما بعد، ولم يكن هدف السيدة زينب(عليها السلام) اسالة الدم لأنه كان نتيجة والنتيجة تختلف عن الهدف واخذوا من هذه الرواية النتيجة وجعلوها هدفاً وتركوا الهدف لجعله نتيجة. السيدة زينب لم تطبر بمعنى التطبير السائد اليوم ولو اعتبرناه تطبيراً فأن تطبيرها كان عفوياً ليس مقصود او استعراضي ولا تلام عليها السلام و كانت وصية الإمام الحسين(عليه السلام) بمعنى ارشادي تخفيفاً عنها وتلطفا بها لأنه يعلم حجم الفاجعة ووقعها سيكون كبيراً عليها ولم نجده(عليه السلام) يطلب من النساء ذلك اذن فالقضية خاصة لما تحمله مساحة السيدة زينب سلام الله عليها من مأساة تتمثل بكونها هي مسؤولة عنها لأنه يريدها قوية الا ان هذا الأمر لا يُجوز التطبير. وتوجد رواية أُخرى توضح المراسيم التي يقوم بها الشيعة القفقاسيين عند قدومهم لزيارة الأئمة في كربلاء والنجف اذ كانوا يستخدمون ظهور الحيوانات في سفرهم وكانت اسلحتهم السيوف ومدة رحلتهم تستغرق من ثلاثة إلى اربعة اشهر حتى يصلوا إلى العتبات المقدسة وهم متشوقين لرؤية قبور الأئمة(عليهم السلام) ونفوسهم مفعمة بالحب لآل البيت فصادف في احدى الزيارات يوم العاشر من المحرم دخلت قافله لزوار قفقاسيين إلى كربلاء وكانت المدينة تجسد صورة صادقة للحزن سودت فيها المساجد وواجهات المحال والبكاء واللطم على مقتل الحسين والأئمة والمقتل يقرأ في الصحن الحسيني الشريف او في الشوارع وصادف ان أحد القفقاسيين كان جاهلاً بهذه الأمور فشرح له أحد العارفين باللغة التركية واقعة الطف واظهر الصور المؤلمة التي مرت على الامام الحسين ومن معه بشكل لا يطيقه قلب محب فأثر ذلك في نفسه وفقد صوابه وسل سيفه وضرب به رأسه ضربة منكرة مات على أثرها وشيعت مواكب العزاء ذلك الرجل الزائر بعد هذه الحادثة احد رؤساء مواكب العزاء وكان تركياً استحسن هذه العملية وفي السنة التي تلت حادثة ذلك الرجل نظم مجلس عزاء يضم مجموعة صغيرة من الأفراد لابسين الأكفان حاملين السيوف وتوجه بهم إلى المكان المعروف اليوم بالمخيم "خيمكاه" وجاء لهم بحلاق حلق شعر رؤوسهم وكل فرد منهم جرح في رأسه جرحاً بسيطاً وخرجوا بهذه الصورة متجهين إلى مرقد الامام الحسين وهو ينادون يا حسين حتى وصلوا الصحن الشريف وتفرقوا بعد عويل وبكاء[2] من هذا يتضح ان هذه الطقوس حدثت من قبل أحد الزائرين الجهال بالصدفة الغير مقصودة فأخذوا بها.

ويذكر احد الباحثين قصة احد القادة الترك الذي كان متوجهاً الى إلى كربلاء الا انه لم يصلها في الوقت المناسب لأجل حضور مراسيم الشعائر الحسينية وكان وصوله بعد انتهائها فعمل على ضرب رأسه بالسيف امام جنوده ندماً على تأخيره حتى قضى وصار جنوده يأتون كل عام وهم يحملون سيوفاً يضربون رؤوسهم وفاء لذلك القائد فأستحسن

(1) يُنظر : المجلسي، بحار الانوار، ج45، ص 114؛ البحراني، العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام)، ص 372.
(2) بو خضر، توفيق، وقفة مع التطبير، دار الصفوة، (بيروت، 2009م)، 33- 34 ؛ الشرقي، طالب علي، التطبير في العراق، مجلة الموسم، مجلد3، العدد 12، 1991م، ص212.

الناس فعلهم هذا وقاموا بتقليده ومنه نشأ التطبير[1] الجدير ذكره هنا ان مراسيم التطبير واللطم والزنجيل وحمل الأقفال لا تزال تمارس سنوياً في ذكرى أستشهاد المسيح في منطقة (Lourder) وعلى الرغم من ان هذه المراسيم هي مراسيم دخيلة على المذهب وهي مرفوضة من وجهة نظر إسلامية كما انها تحظى بتأييد العلماء الحقيقيين بل ان اكثرهم عارضوها بصراحة لأنها مراسيم لا تنسجم مع موازين الشرع ومع ذلك فأنها مازالت تمارس منذ قرنيين او ثلاثة على قدم وساق[2] الكثير من الطقوس الغريبة مثل التطبير والأدماء والمشي على النار والضرب بالحديد وبعض ما يرد في التشابيه هي مراسيم دخلية على المذهب الشيعي[3] واخذت تتطور في مراحل تاريخية وتتعمق كأنها جزءً من الدين و العقيدة واصبح لها تأثيراً كبيراً في الأمة وافرادها من جوانب متعددة [4]

في اصل هذه الطقوس نورد هنا رأي احد المفكرين وهو الشيخ مرتضى مطهري: يوضح فيه أن التطبير والنفخ في الابواق وضرب الطبول هي عادة انتقلت إلى إيران من المسيحيين الأرثوذكس القفقازيين وانتشرت فيها كأنتشار النار في الهشيم بسبب استعداد النفوس والروحيات لتقبلها[5]. لم تنقل لنا الروايات حدوث مثل هذا المراسم فيما تلا عصر الأئمّة من قرون لأنّ ما نقله بعض المؤرّخين كالمقريزي [6] وأبي الفداء [7] عن مظاهر الاحتفال بعاشوراء في العصرين البويهي والفاطمي ليس فيه اية إشارة إلى هذه الطقوس[8] الطقوس[8]

ولم ينقل لنا ناقل أنّ أحداً من عوام الشيعة قد فعلها ولا أجازها أحد من علمائهم في الأمصار التي كانت حكامها شيعةً كالبويهيين والحمدانيين والفاطميين وعلى رغم تشدُّد البويهيين في نشر إقامة العزاء حيث كانت في زمانهم الأسواق تعطّل يوم عاشوراء في بغداد وتُقام مراسيم العزاء في الشوارع ولم ينقل احداً انه وقع في زمانهم شيء من جرح الرؤوس بالسيوف[9] وممن افتى بحرمة التطبير وضرب السلاسل اية الله كاشف الغطاء[10] بقوله: ان لطم الصدور بالكيفيات المتداولة في هذه الازمنة كالضرب بالسيوف والسلاسل وامثال ذلك اذا اردنا ان نتحدث فيها على حسب ما تقتضيه القاعدة الفقهية والمقررة لاستنباط الاحكام الشرعية فلا تساعدنا الا على حرمتها ولا يُمكننا الا الفتوى

---

(1) احمد العامري ، التطبير تاريخه وقصصه، دار المحجة البيضاء، (بيروت، 2009م)، ص 45 نقلاً عن : السراي، رشيد، التطبير بين الشعائرية والتحريم، مقال منشور على موقع مؤسسة النور للثقافة والاعلام.

(2) شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص 209.

(3) الحيدري، التشيع العربي والتشيع الفارسي، ص255.

(4) الحيدري، التشيع العربي والتشيع الفارسي، ص 256.

(5) الإمام علي في قوتيه الجاذبية والدافعة، ترجمة : جعفر صادق الخليلي، مؤسسة البعثة، (بيروت، 1992م)، ص180.

(6) يُنظر : احمد بن علي بن عبد القادر (ت 845هـ)،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1418هـ)، ج2، ص ص 329 – 330.

(7) يُنظر : اسماعيل (ت732هـ)، تاريخ ابي الفداء، دار المعرفة، (بيروت، د.ت)،ج2، ص 104.

(8) الحسني، سيرة الأئمّة الاثني عشر، ج 2، ص 107.

(9) الحسون، محمد، قراءة في رسالة، بلا مطبعة (بلا مكان، د0ت)، ص70؛ العاملي، الانتصار، دار السيرة،(بيروت،1422هـ)،ج9،ص 409.

(10) هو محمد حسين بن علي بن محمد رضا كاشف الغطاء من مشاهير علماء الشيعة، ولد عام 1877م بمدينة النجف الاشرف، له العديد من المؤلفات منها : اصل الشيعة واصولها ونبذة من السياسة الحسينية والارض والتربة الحسينة وغيرها، توفي عام 1954م بمدينة كرند في ايران ودفن بمقبرة وادي السلام بالنجف الاشرف، يُنظر : نجف، علماء في رضوان الله، ص ص 441 – 445.

بالمنع والتحريم[1] واورد السيد ابو القاسم الخوئي رأية في التطبير بأنه لم يرد فيه نص بشعاريته فلا طريق للحكم بأستحبابه ولا يبعد، ان يثيبه الله عزوجل على نية مواساة أهل البيت اذا خلصت النية[2] واشار بعض الباحثين الى مكان ان اللطم هو المأتم وليس الطرقات واما الضرب بالقامات والسيوف على الرأس فهو محرم لما شوهد من ان اغلب نتائجه كانت موت جماعة منهم في كل سنة وذلك بسبب لكثرة نزف الدم ولم يرد دليل شرعي على جوازها وما من نصاً او حديث او رواية يستند اليها هذا الفعل [3]

مما لا شك فيه انه لم يرد في الشرع تأييد لمسألة التطبير وعليه فأن هذه المسألة لا يوجد فيها استحباب لعدم وجود دليل عليه ولا وجوب [4] بعض المراسم تنطوي عادة على ممارسات وافعال لا تنسجم مع الشرع او السنة. رغم القدسية التي يكنها المسلم والشيعي خصوصاً اتجاه أئمة اهل البيت ولاسيما نساء آل البيت نجد ان مراسم التشبيه تنطوي على اساءات من قبيل ان رجلاً يمثل دور السيدة سكينة والسيدة زينب كما ويتم استخدام الموسيقى على نطاق كبير رغم ما فيها من كراهة وحرمة لدى العلماء.

احد الباحثين المحدثين يشير الى هذه الطقوس بقوله: أعتقد بوجود خلطاً كبيراً بين الشعائر الدينية والطقوس وانه من الضرورة وضع معايير علمية لأجل التمييز بينها ودراسة اسبابها وظروفها التي نشأت فيها فأن الشعيرة الإسلامية تتحرك وفق حركة القرآن الكريم ووفق سيرة النبي الأكرم كشعيرة الحج مثلاً لذلك تضاف الشعيرة لله تعالى كقوله جل وعلا: " ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب"[5] ومن امثلتها شعائر الحج المشرعة من قبل الله عز وجل الا ان الطقوس تمثل عادات تتحرك في اقوام معينين نتيجة لبيئتهم الأجتماعية والظروف سياسية والاقتصادية فليس ضرورياً ان يمضيها القرآن او السنة او العقل الا انه يمكن دراستها ومعرفة اثارها وهنا يأتي دور العقل في التمييز والترجيح، فالكثير من الأمم لها عاداتها وشعائرها لكن تكمن المشكلة في تحول الطقوس إلى شعائر مقدسة أساسية قد تنسب للشرع فتكون الاساس وتكون لها الأوّلوية في حركة الامة ووجوب الدفاع عنها فيتحول الهامش لأصل تستغرقه العواطف وعندها تخفي الرسالية والأصول والعقل وروح المقاصد فيفقد الدين تسامحه روحه وقيمه وأدبه فضلاً عما يزرعه من أحقاد وحواجز ضد الآخرين[6] من الضروري ان نشير إلى ان النقد الذي نوجهه لا ينصب على اصل التقليد ولا على اصل اقامة العزاء لأن التقليد اذا كان عن وعي وخاضع لمنطق ينسجم مع المبادئ و الأسس العقائدية والمتطلبات الاجتماعية فبلا شك هو مظهر رقي حضاري ومظهراً من مظاهر التعلم والتعليم الذي يساهم في رفع مستوى الفهم والاطلاع لدى المقلد وما نسعى اليه هو رسم تصور منطقي وواضح لحقيقة النهضة الحسينية في كربلاء والتعريف برموزها والاهداف السامية التي يحملونها في هذه النهضة العملاقة [7].

---

(1) بوخضر، توفيق، القول المبين في التطبير والمطبرين، دار الصفوة، (بيروت، 2009م)، ص 54.
(2) بوخضر، القول المبين، ص 42.
(3) مجموعة علماء، رسائل الشعائر الحسينية، رسالة محمد مهدي القزويني (ت 1358هـ)، صولة الحق على جولة جولة الباطل ، تح: محمد الحسون، مؤسسة الرافد، (بلا مكان، 2011هـ)، ص ص 190-191.
(4) بوخضر، القول المبين، ص ص 41 – 42.
(5) سورة الحج، آية 23.
(6) الحيدري، نبيل، التشيع العربي والتشيع الفارسي دور الفرس التاريخي في انحراف التشيع،، دار الحكمة، (لندن، (لندن، 2014م)، ص ص254 - 255
(7) شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص 218.

الخاتمة:-

استعرض البحث الجذور الأصيلة للشعائر الحسينية كما كانت تُمارَس في عهد الأئمة (عليهم السلام) وهذا يمكن تحقيقه من خلال تحليل النصوص والروايات التي توضح المعنى الحقيقي لهذه الشعائر

كما انه يجب التأكيدعلى ضرورة توجيه الأنظار إلى تنقية الشعائر من الممارسات التي تحرفها عن مسارها او تسيء لها فالابتعاد عن المغالاة أو إدخال عناصر غير متوافقة مع الشريعة يساعد في إبقاء هذه الشعائر ضمن إطارها الديني والثقافي الصحيح.

كما استعرض البحث كيف أن التأثيرات الثقافية الخارجية، سواء كانت مستوردة أو محلية، ساهمت في إدخال عناصر دخيلة على الشعائر الحسينية، وأوضح أن التمسك بالوعي التاريخي والديني يمكن أن يكون الخطوة الأولى للحد من هذا التأثير.

اذا فالشعائر الحسينية ليست فقط وسيلة لإحياء ذكرى الإمام الحسين (عليه السلام)، بل هي رسالة ثقافية ودينية تتطلب حماية مضمونها من أي محاولة تحريف او تشويه وهذه هي مسؤولية الباحثين من المفكرين والمؤرخين في رصدها ومعالجتها من خلال الإرشاد الديني والفكري.

المصادر والمراجع:-

ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت: 656هـ)

1- شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، (بلا مكان، 1959م).

ابن المعتز، عبد الله بن محمد (ت 296هـ)

2- طبقات الشعراء، تح: عبد الستار أحمد، دار المعارف، (القاهرة، د.ت).

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت 562هـ)

3- التذكرة الحمدونية، دار صادر، (بيروت، 1417هـ).

ابن سعد، ابو عبد الله محمد بن سعد بن منيع (ت 230هـ)

4- الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1990م)

ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي المازندراني (ت 588هـ)

5- مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، (النجف، 1956م).

ابن قولويه، جعفر بن محمد (ت 367هـ)

6- كامل الزيارات، تح: جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، (بلا مكان، 1417هـ).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ)

7- البداية والنهاية، تح: علي شيري، إحياء التراث العربي، (بلا مكان، 1988م).

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت: 711هـ)

8- لسان العرب، دار صادر، (بيروت، 1414هـ)

الأردبيلي، محمد علي (ت 1101هـ)

9- جامع الرواة، مكتبة المحمدي، (بلا مكان، د.ت).

الأميني، عبد الحسين

10- سيرتنا وسنتنا سيرة نبينا وسنته، بلا مطبعة (سوريا، د0ت)

البحراني، عبد الله

11- العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام)، نشر مدرسة الإمام المهدي (عج)، (قم، 1407هـ).

البراقي، حسين بن احمد (ت 1332ه)

12- تاريخ الكوفة، تح : ماجد احمد العطية، المكتبة الحيدرية، (بلا مكان، 1424ه)

البروجردي، آقا حسين (ت 1383هـ)

13- جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية، (قم، 1407هـ).

بو خضر، توفيق

14- القول المبين في التطبير والمطبرين، دار الصفوة، (بيروت، 2009م).

الجوهري، ابو نصر اسماعيل بن حماد (ت 393هـ)

15- الصحاح تاج اللغة وتاج العربية، تح: احمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، (بيروت، 1987م)

الحسني، هاشم معروف

16- سيرة الأئمة الاثني عشر، المكتبة الحيدرية، (بلا مكان، د.ت).

الحسون، محمد

17- قراءة في رسالة، بلا مطبعة، (بلا مكان، د.ت)، ص70.

الحيدري، نبيل

18- التشيع العربي والتشيع الفارسي دور الفرس التاريخي في انحراف التشيع، دار الحكمة، (لندن، 2014م).

الخامنئي، علي

19- أجوبة الاستفتاءات، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، (بيروت، 1999م).

الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان (ت 748هـ)

20- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، (بيروت، 1963م)

السراي، رشيد

21- التطبير بين الشعائرية والتحريم، مقال منشور على موقع مؤسسة النور للثقافة والإعلام.

الشرقي، طالب علي

22- التطبير في العراق، مجلة الموسم، مجلد 3، العدد 12، 1991م.

شريعتي،علي (ت 1979م)

23- التشيع العلوي والتشيع الصفوي، دار الامير (بيروت، 2005م)

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت 460هـ)

24- الأمالي، دار الثقافة، (قم، 1414هـ).

العاملي، مرتضى

25- أحيوا أمرنا، المركز الإسلامي للتراث، (بيروت، 2009م).

العجلي، ابو الحسن احمد بن عبد الله بن صالح(ت 261ه)

26- معرفة الثقات، تح: عبد العليم عبد العظيم البستوي، مكتبة الدار، (المدينة المنورة، 1985ه)

الفراهيدي، الخليل بن احمد(ت175هـ)

27- العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية(بيروت، د.ت)

الفيض الكاشاني، محمد محسن (ت 1091هـ)
28- الوافي، مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة، (أصفهان، 1416هـ).
الكليني، محمد بن يعقوب (ت329هـ)
29- أصول الكافي، دار المرتضى، (بيروت، 2005م).
مجموعة: علماء
30- رسائل الشعائر الحسينية، رسالة التنزيه للسيد محسن الأمين والرسائل المؤيدة والمعارضة لها، جمع وتحقيق: محمد الحسون، مؤسسة الرافد، (بلا مكان، 2011م).
مجموعة علماء
31- التطبير تاريخه وقصصه، دار المحجة البيضاء، (بيروت، 2009م).
مطهري، مرتضى
32- الإمام علي في قوتيه الجاذبية والدافعة، ترجمة: جعفر صادق الخليلي، مؤسسة البعثة، (بيروت، 1992م).
النوري الطبرسي، حسين بن محمد تقي بن علي محمد (ت 1320هـ)
33- مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، (بيروت، 1988م).

The Arbaeen Pilgrimage: A Historical Study of the Development of Rituals and Religious Practices

Ali Hamid Jafat
Al-Mustansiriyah University – Office of the University President

Abstract

Husseini rituals represent one of the most prominent cultural and religious symbols that embody the deep connection to the noble humanitarian principles and values for which Imam Hussain (peace be upon him) sacrificed. These rituals have become intertwined with the history of the Islamic nation and have formed an integral part of its identity, carrying within them a message of justice, freedom, and sacrifice for noble values. This study aims to examine the concept of Husseini rituals, their linguistic and terminological dimensions, and to explore their historical roots and their lasting impact across the ages in strengthening the cultural and religious identity of Islamic societies. This work serves as a scholarly contribution that highlights the significance of these rituals in the lives of individuals and communities.

Additionally, the research addresses, in certain sections, issues related to the additions and innovations that have emerged in the practice of Husseini rituals over the centuries. The focus has been placed on how some practices have deviated from their original path, which was intended to express loyalty to the values of Imam Hussain (peace be upon him) and to spread his reformative message.